مجلة روافد
للدراسات والأبحاث العلمية في العلوم الاجتماعية والإنسانية
المجلد 08 (01) جـوان 2024 ص ص 445-461

الصراع الدبلوماسي بين روما وقرطاجة خلال الحرب البونيقية الثانية (218-201 ق.م)

Diplomatic conflict between Rome and Cartage during the second Punic war (218-201 BC)

حسينة زغبيب*

جامعة مولود معمري تيزي وزو (الجزائر).

البريد الالكتروني المهني: hassina.zeghbib@ummto.dz

تاريخ الإيداع	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2023/12/27	2024/04/06	2024/06/01

الملخص: حاولنا من خلال هذا المقال تسليط الضوء على الصراع الدبلوماسي بين روما وقرطاجة لكسب حليف في إفريقيا، خدمةً لمصالحهما من جهة وتشتيتاً لشمل ملوك نوميديا، لمنع اتحادهم حتى لا يشكلوا قوة إقليمية تنافسهم في المنطقة من جهة أخرى، فكان سيفاكس في بداية الحرب حليف قرطاجة، ثم اتجه للجانب الروماني، لكن لما تفطن للمعركة الدبلوماسية القائمة بين القوتين اتخذ موقفاً محايداً وسعى للوساطة بين الطرفين (مؤتمر سيغا 206 ق.م)، وفي الأخير اتخذ القرار الحاسم وتحالف مع قرطاجة. ونفس الدور لعبه ماسينيسا، حيث اتخذ مواقف متباينة بين تحالف وانقلاب؛ حارب إلى جانب قرطاجة في شبه الجزيرة الإيبيرية بعيدا عن وطنه، ثم حالف الرومان بعدما خذلته قرطاجة التي سارعت للتحالف مع سيفاكس. ولهذا فقد كان لسياسة التحالفات دورٌ جوهريٌ حيث أحدثت تحولات كبرى خلال الحرب البونية الثانية.

الكلمات المفتاحية: *قرطاجة؛ نوميديا؛ روما؛ سيفاكس؛ ماسينيسا*

Abstract: We try to shed light on the diplomatic conflict between Rome and Carthage to gain an ally in Africa, in order to serve their interests, and to disperse the Numidian kings so as not to become a competitive regional power. At first, Syphax was an ally of Carthage, then he turned to the Roman side, when he realized the stakes of the diplomatic battle between the two powers, he would take a neutral position and seek mediation (conference Saiga 206 BC). In the end, he takes the decision to ally himself with Carthage.

* **المؤلف المرسل**

The same role was played by Massinissa, he fought on the side of Carthage in the Iberian Peninsula, then he allied with the Romans after Carthage abandoned him, and hastened to ally himself with Syphax. The policy of alliances played a fundamental role in bringing about major transformations during the Second Punic War.

Keywords: *Carthage; Numidia; Rome; Syphax; Massinissa*

مقدمة:

تأرجحت العلاقات النوميدو - قرطاجية- الرومانية خلال الحرب البونيقية الثانية (218- 202 ق.م) بين العداء والسلم، يظهر ذلك بتحالف ملوك نوميديا تارة مع قرطاجة وتارة أخرى مع روما وفق ما تفرضه مصالح الطرفين، ورأت هذه القوى من الممالك النوميدية خطرا يهدد مصالحها في المنطقة، لذا سعت لكسبهم بطرق دبلوماسية وابرام صفقات التعاون معهم، كما نجد أن المملكتين (الماسيل والمازيسيل) قد لعبتا دورا هاما خلال فترة الصراع. والمعروف "لدى المؤرخين" عن الممالك النوميدية خلال الحروب البونيقية خاصة في مرحلتها الثانية، أنها اتخذت مواقف متباينة ومتقلبة أحيانا تبعا لتطورات الحرب ومراعاة لمصالحها وصوناً لسيادتها؛ فلم تكن على وتيرة واحدة، خاصة أن كلتا القوتين كانت تسعى للحصول على حليف في إفريقيا، وتستغل الخلافات السياسية بين النوميديتين، وتعميق شقة الخلاف بين المغاربة خدمة لأهدافها التوسعية في المنطقة، فقد ساهمتا بشكل كبير في الخلافات السياسية منعاً للاتحاد وتمكينا من التوغل في أراضيها.

وعلى هذا نطرح السؤال الذي نستهل به تفصيل هذا المقال والمتمثل في:

ما هو الدور الذي لعبه كل من الملك سيفاكس وماسينيسا والحنكة السياسية التي تمتع بها هذان القائدان، وجعلا من دوليهما في مصاف يطلب التحالف معهما. وما هي المواقف التي اتخذها كل من سيفاكس وماسينيسا جراء هذا الصراع؟ وما سبب اتخاذهما مواقف متباينة ومتقلبة؟ إلام تهدف كل من روما وقرطاجة من خلال سعيهما لكسب حليف في إفريقيا؟

للإجابة على الإشكالية المطروحة اتبعنا المنهج السردي والتحليلي فالمنهج السردي يساعدنا على فهم الأحداث وتسلسلها والتطرق إلى الظروف التي تعيشها منطقة شمال إفريقيا في هذه الفترة، والمواقف السياسية التي اتخذتها الممالك النوميدية جراء هذا الصراع، أما المنهج التحليلي فلقد تبنيناه كلما استدعى الأمر تحليل المواقف التي اتخذها ملوك نوميديا قصد فهمها جيدا.

1. المعركة الدبلوماسية بين روما وقرطاجة بحثا عن حليف في إفريقيا:

1.1 تعريف الدبلوماسية: هي كلمة مشتقة من اليونانية "دبلوما" معناها الوثيقة الرسمية التي تصدر عن الشخص الذي بيده السلطة العليا في البلاد (الشهراني، 2015، صفحة 13)، ثم اتسع مدلول هذه الكلمة لتشمل الوثائق الرسمية، أما سيشرون فلقد استخدم كلمة "دبلوما " بمعنى التوصية الرسمية التي تعطي للأفراد الذين يأتون إلى روما، وقد قدم الرومان من الناحية النظرية الكثير للدبلوماسية، ذلك عبر قوانينهم وممارساتهم المختلفة مع الشعوب التابعة لهم ، كذلك المراسيم الدبلوماسية عبر تشريعهم لقوانين خاصة، باستقبال السفراء وتحديد إقامتهم ونوعية معاملتهم ومنحهم بعض الامتيازات، فقد ساهموا في تطوير النظرية الدبلوماسية أكثر من مساهمتهم في ممارستها، فأدى نفوذهم العسكري إلى فرض إرادتهم على الشعوب والقبائل المهزومة (أبو عبادة، 2011، صفحة 18).

2. سيفاكس بين روما وقرطاجة:

1.2 تعريف سيفاكس:

يعتبر الملك سيفاكس أكبر ملك (اغليذ) عرفه التاريخ في نوميديا الغربية، وكانت له شخصية لامعة، تحدث عنه المؤرخون القدماء أثناء الحروب البونيقية، دون أن يقدموا نبذة عن نشأته وبدايته، إذ نجهل الكثير عن حياته الشخصية، أما فيما يخص أصل التسمية (سيفاكس) يقال أنه اقتبس من اسم الإلهة سوفاكس (Sophax) وابنها الإله هرقل)

(Camps, 1961, p. 293). أما حدود مملكته فتمتد من حدود القبائل المورية غربا حتى رأس تريتون شرقا. (انظر الصورة رقم 01).

2.2. سيفاكس يتحالف مع قرطاجة:

ساهمت كل من قرطاجة وروما في توسيع شقة الخلاف بين المملكتين النوميديتين لخدمة مصالحهما، وجعلتا من المنطقة مسرحا للصراع الدائر بينهما، خاصة بعدما انهزمت قرطاجة في الحرب البونيقية الأولى، أين سعت لاستمالة مملكة نوميديا الغربية فتقربت إلى الملك سيفاكس من أجل تحسين العلاقات معه، بحكم موقع مملكته (Strabon, 1867, XVII,3,9)، التي كانت الجيوش القرطاجية تعسكر فيها استعدادا للحرب الثانية، (Polybius, 1970,III,33,15.) وكان الهدف من وراء تلك الصداقة بالنسبة لقرطاجة يتمثل في حفظ خط الاتصال بينها وبين جيشها الذي يحارب في شبه جزيرة ايبيريا، حيث كان القرطاجيون يضعوا نصب أعينهم مفاجأة الرومان من حيث لا يدرون، في شمال إيطاليا وهو ما كان قد بدأه حنبعل منذ 218 ق. م .(Tite -Live, 1941,XXIV,48,12)

3.2 سيفاكس يتحالف مع روما:

فجأة أصبح سيفاكس عدواً للقرطاجيين، بعدما انحازوا إلى عدوه الذي هو "قايا" (Gaia)، إثر اجتياح هذا الأخير مساحات واسعة من الأراضي الخصبة لقرطاجة، وهذا الوضع أصبح غير ملائم بالنسبة لقرطاجة، بما أنها مقبلة على خوض حرب كبرى مع الرومان، وليس في صالحها أن توسع جبهة القتال في ضفتي الحوض الغربي للمتوسط شمالا وجنوبا، خاصة وأن جيرانها المغاربة في وضع يؤهلهم لأن يكونوا في صفها نظرا للمصالح المشتركة (شنيتي، 1982، صفحة 22)، فتحالفت مع غايا (فرحاتي، 2007، صفحة 62)، لكن هذا السلوك القرطاجي أحدث ردة فعل من جانب الملك سيفاكس، حيث أعلن الحرب على القرطاجيين، فحدث تصدع كبير في تلك العلاقة المتسمة بالصداقة بين

الدولتين نوميديا الغربية وقرطاجة بعدما انحازت هذه الأخيرة إلى عدو سيفاكس ملك نوميديا الشرقية غايا (شنيتي، 1982، صفحة 22)

هذه الأزمة التي هزت التحالف القرطاجي النوميدي استطاعت روما استغلاله بما أنها كانت تبحث عن حليف إفريقي لتطبيق إستراتيجيتها، لهذا سارعت للتحالف مع الملك سيفاكس، هنا أرسل القنصل الروماني وفدا رسميا للملك يتكون من ثلاثة سفراء، مهمتهم تدور حول بناء علاقة قوية ودائمة، تعكس حسن نية الشعب الروماني ومن ثم إقناع سيفاكس على أن يكون حليفهم (Innocent, 2001, p. 131). ولكن كيف نفسر إصرار روما على إيجاد حليف إفريقي؟

أدرك القائد الروماني سكيبيو (انظر الصورة رقم 02) أن الحل الوحيد هو نقل الحرب إلى الأراضي الافريقية، مما يجبر حنبعل على العودة إلى وطنه، لكن مثل هذا المشروع محفوف بالمخاطر، ويتطلب معرفة كاملة بالتضاريس، وأيضا إمكانية تلقي التعزيزات إذا دعت الحاجة إلى ذلك. هذه هي الاحتياطات التي لم يلاحظها أغاثوكليس في القرن الرابع وروغولوس خلال الحرب البونيقية الأولى، فقد فشلت محاولاتهم للنزول في شمال إفريقيا، ومن أجل عدم تكرار أخطاء أسلافه، عمل القنصل الروماني الجديد بشكل مختلف (Innocent, 2001, p. 132)، وهذا ما أشار إليه فرانسوا دوكري ومحمد فنطر: "فهم سكيبيو الحاجة إلى الدعم الأفريقي لنجاح حملته، لمعرفتهم بالميدان، ومساهماتهم في المعدات، ومع هذا الحليف، فإن الجيش الروماني لن يشعر بالعزلة تماما في الأراضي الأجنبية (Mohamed (F), 1981, p. 89).

يبدو أن سيفاكس كان حريصا أيضا على تمتين علاقته مع الرومان، إذ أرسل وفدا إلى مجلس الشيوخ يذكره بما قد تم بينه وبين القائد الروماني سكيبيو، وهي بمثابة فرصة للتأكد من وعود هذا الأخير مما يكسب الاتفاقية طابعا رسميا. لقد استقبل وفد سيفاكس استقبالا حسنا من طرف مجلس الشيوخ، الذي بعث مع الوفد عند عودته ممثلين يحملون

هدايا إلى الملك، رمزا للصداقة بين الطرفين (شنيتي، 1982، الصفحات 23-24) وكان الرومان يهدفون إلى إبقاء جسر الصداقة مع الملك سيفاكس خوفا من انتقاله إلى الجانب القرطاجي.(Gsell, 1928, p. 181)

وفقا لرواية تيتوس ليفيوس فإن المفاوضين الرومان قد نجحوا في مهمتهم، فتحول الملك سيفاكس إلي صديق للرومان (Tite-Live, 1941, XXIII,4) يريد الاستفادة هو الأخر من حلفائه الجدد؛ فحدد الملك النوميدي شروطه وهو الاحتفاظ بأحد المبعوثين لتدريب النوميديين على فن القتال فقال "إن النوميديين فرسان مهرة ولكنهم لا يحسنون الحرب على أقدامهم على عكس أعدائهم" فاستجاب الرومان لطلبه فبقي أحد النواب الذي يسمى بـــ ستاتوريوس (Statorius) وعاد الآخران برفقة رسله إلى سكيبيو (كصيل، 2007، صفحة 163).

جمع ستاتوريوس عددا كبيرا من المشاة ودربهم على الطريقة الرومانية، ثم قاد الملك معركة ضد قرطاجة وهزمها، فقامت هذه الأخيرة بالاتصال مع الملك غايا ليوضحوا له أن هذا التحالف سيجعل سيفاكس أكثر قوة وخطرا على أمراء إفريقيا، فمن مصلحته الاتحاد معهم للقضاء عليه فاقتنع غايا بذلك، فهاجموا سيفاكس وأوقعوا به هزائم كبيرة (كصيل، 2007، صفحة 164).

لكن سيفاكس تفطن للمعركة الدبلوماسية التي تجري بين القوتين وفهم السياسة التوسعية الرومانية، فاتخذ موقفاً محايداً اذ لم يرد أن يخسر صداقة روما وفي نفس الوقت احتفظ بعلاقته مع قرطاجة، وهذا ما ظهر من خلال لقاء سيغا، بعدما فهم سيفاكس المعركة الدبلوماسية التي جرت بين القوتين المتصارعتين وأدرك أهميته ودوره الكبير في هذا الصراع، وكان أن رتّب الأمور لمؤتمر سيغا الدولي في 206 ق.م.

4.2 مؤتمر سيغا ومحاولة التوسط بين القوتين المتصارعتين:

لقد شكلت أحداث نهاية القرن الثالث قبل الميلاد انقلابا حاسما في تاريخ المملكة النوميدية، وذلك نظرا للانعكاسات الخطيرة المترتبة عن أحداثها، ويبدو أن الملك سيفاكس كان يدرك خطورة تلك الأحداث، ومن جهة أخرى كان على هذا الملك المتصف بالحكمة والرأي السديد أن يلمّ بعناصر ذلك الصراع، ويبني على ذلك قراره المناسب، وفقا للمعطيات العسكرية والسياسية التي طغت على الحوض الغربي للبحر المتوسط عموما والمغرب تحديدا (غانم، 1998، صفحة 16).

فقد أدرك أن نقل الحرب إلى شمال إفريقيا سيقضي على مستقبل المنطقة لاسيما مملكته، لذلك رتب لقاءً بين القائدين القرطاجي والروماني بغية التوسط لإنهاء النزاع بين القوتين المتصارعتين على سيادة البحر المتوسط، مستخدما الطرق الدبلوماسية لتجنب نوميديا العواقب الوخيمة، التي يمكن أن تنجم من جراء هذا الصراع، وصف "كامس" لقاء القادة الثلاث في مدينة سيغا أنه لقاء قمة برز خلاله العاهل النوميدي "سيفاكس" كوسيط للسلام (كامس، (ب، ت)، صفحة 20) وعندما بحثوا في الوسائل التي تضع حدا للحرب صرّح القائد الروماني "سكيبيو" "أنه لا يستطيع أن يفصل في قضية يعود حلها إلى مجلس الشيوخ (Sanz, 2013, p. 30)

رغم محاولة الرومان الحفاظ بالملك "سيفاكس" إلى جانبهم، إلا أن هذا الأخير أدرك ويلات الحرب إن انتقلت إلى شمال إفريقيا، لذلك اختار القرار الحاسم بالانضمام الى الجانب القرطاجي، ومهما تكن الأسباب التي جعلته يتردد عن اتخاذ موقف مؤيد أو معارض لذلك الصراع الذي شب بين القوتين المتصارعتين، فالذي لا شك فيه هو أن الملك النوميدي كان يبحث عن إيجاد حل ملائم للمشكل الذي يعترض قرطاجة دون أن يسيء إلى علاقته مع الرومان.

إن نقل الحرب إلى شمال إفريقيا سيقضي على مستقبل المنطقة فاستخدم الطرق الدبلوماسية (حارش، 1984، صفحة 17) واقترب أكثر من القرطاجيين بعدما تزوج من "سوفونيسبة" ابنة القائد القرطاجي صدربعل في سنة 205 ق. م (غانم، 1998، صفحة 62) واستطاع هذا الملك بحنكته وذكائه أن يجمع شمل المازيسيل والماسيل في كيان سياسي واحد (Gsell, 1928, p. 193) وحكم المنطقة الممتدة من نهر ملوية إلى خليج السرت بليبيا منذ(205- 203 ق.م).

أما هدف قرطاجة من وراء ذلك فمحالفة الملكين النوميديين معا، لكن هذه المصاهرة السياسية أثارت مشاعر الملك ماسينيسا الذي كان يرغب بالزواج من الأميرة القرطاجية سوفونيسبة، وانه وعد بها قبل سيفاكس، وزاد ذلك في تعميق المشكلة والخلاف بين ماسينيسا وقرطاجة.

لم تتوقف وساطة "سيفاكس" بين القرطاجيين والرومان وذلك تقديرا منه للأهداف التوسعية التي تسعى إليها روما فبادر بإرسال مبعوثين سنة 204 ق.م إلى القنصل الروماني يدعوه فيها للعدول عن رأيه وإلا فانّ جيوشه ستقف إلى جانب القرطاجيين، فلم يصغ إليه "سكيبيو" فنزل بحملة عسكرية على أراضي إفريقيا (Grimal, 1975, pp. 320-324)، رغم ان سكيبيو أمر بالاتجاه نحو السرت الصغرى إلا أن الرياح دفعتهم باتجاه رأس أبولون (Appolon) شرق خليج تونس ثم انتقل إلى ضواحي اوتيكا وانضمت إليه جيوش ماسينيسا، حينها أدرك سيفاكس حجم الخطر الذي يهدد مملكته فاتجه إلى معسكر سكيبيو واقترح عليه حلا منصفا، وهو أن يقوم الرومان بترك إفريقيا مقابل انسحاب حنبعل من ايطاليا، وحاول سكيبيو بدوره أن يقنع سيفاكس بالعدول عن مناصرة القرطاجيين إلا انه لم يفلح في ذلك (Bohec, 1996, p. 244)، وانضم بحوالي 60 ألف من محاربيه إلى الجيش القرطاجي (غانم، 1998، صفحة 62)

إن سياسة "سيفاكس" هي سياسة ملك واع إذ تفطن للمعركة الدبلوماسية التي تجري بين الطرفين، وفهم السياسة التوسعية الرومانية لذلك عمل على التوسط بين الجانبين لوقف الحرب حتى يجنب نوميديا ويلات حرب مدمرة. لكن محاولته باءت بالفشل لعدم تمكنه من الاتفاق مع الملك "ماسينيسا" (ملك نوميديا الشرقية) الذي أنظم للجانب الروماني فأرجح الكفة لصالح الرومان، وينتهي الصراع لصالح هذه الأخيرة، وكانت له انعكاسات وخيمة على النوميديتين.

3. ماسينيسا بين روما وقرطاجة:

1.3. تعريف ماسينيسا:

هو ابن غايا ولد في مدينة "دوقة" التي يحكمها جده أوزالاس وذلك في عام 238ق.م، ولا نعلم إن كان وحيد ولديه أم كان له إخوة أهملهم التاريخ، حكم نوميديا الشرقية ابتداء من عام203 ق.م بعد هزيمة خصومه، تمكن من توسيع حدود مملكته وعرفت نوميديا خلال حكمه أوسع اقليم سياسي في التاريخ، وكان يطمح في ضم أراضي قرطاجة لكن روما لم تترك له فرصة لذلك، وتوفي عام 148ق.م. (شنيتي، 2017، صفحة 92).

2.3. ماسينيسا يحارب إلى جانب قرطاجة:

كانت العلاقات القرطاجية الماسيلية عدائية حين أعلن الملك غايا (Gaia) سنة 220 ق.م الحرب ضدها، والوضع العسكري القرطاجي في هذه الفترة غير ملائم للدخول معه في الصراع، لأنها كانت مقبلة على خوض الحرب ضد روما، ولتفادي الصعوبات التي قد تنتج عن هذه الهجمات النوميدية رضخت لمطالب غايا وتحالفت معه (فرحاتي، 2007، صفحة 62) وبهذا التحالف دعّم غايا القوات القرطاجة في شبه الجزيرة الإيبيرية ضد الرومان عام 212 ق.م، وأرسل قوات عسكرية على رأسها ابنه "ماسينيسا" (Massinissa)

(انظر الصورة رقم 03) الذي ظل يحارب لجانب قرطاجة بعيدا عن دياره إلى غاية 206 ق. م (كصيل، 2007، صفحة 166) .

عند وفاة الملك "غايا" كان ماسينيسا في حوالي الثلاثين من عمره، وحسب القاعدة الملكية لم يكن مؤهلا لتولي العرش الذي استلمه عمه "أوزالاس" (Oezalés)، لكنه توفي بعد مدة وجيزة، واستلم العرش ابنه "كابوسا" (Capussa) الذي توفي هو الآخر بعد مدة قصيرة من توليه الحكم، ثم استلم العرش ابنه "لاكومازيس" (Lacumazés) الأصغر سنا من ماسينيسا بدعم من "مازيطول" (Mazaetull)، وهو ما اعتبره ماسينيسا خرقا للعرف، واعتداء على حقه في العرش بعد أن توفر فيه شرط السن (عقون، 2010، صفحة 87) ولما بلغ ماسينيسا نبأ تدخل قرطاجة في الشؤون الداخلية لمملكة الماسيل قرر الاتصال بالقيادة الرومانية في شبه الجزيرة الإيبيرية، التي بدورها كانت تبحث عن حليف إفريقي غير سيفاكس الذي تخلى عليها (حارش، 2013، صفحة 198) بعدها سارع "ماسينيسا" بالعودة إلى وطنه بعدما خذلته قرطاجة التي تحالفت مع سيفاكس لاغتصاب حقه في تولي العرش.

يمكن القول ان قرطاجة استعملت الدبلوماسية من أجل كسب الحليف الأقوى لذا تلاعبت بالتحالفات بين ملوك نوميديا، تارة مع سيفاكس وتارة أخرى مع ماسينيسا، شأنها في ذلك شأن روما، هذا ما أثار غضب ماسينيسا وحالف الرومان، مع أنه كان وجها لوجه ضد الرومان إلى جانب قرطاجة في اسبانيا، غير أن "سكيبيو" رأى ضرورة الاتصال به خاصة أنه يعرف كفاءة "ماسينيسا" العسكرية (عقون، 2010، صفحة 94).

3.3 ماسينيسا يتحالف مع روما:

توجه ماسينيسا إلى إفريقيا، بعدما تحالف مع سكيبيو وحل بموريطانيا وطلب من ملكها "غودا" المساعدة فزوده بألف رجل، وبمجرد وصول ماسينيسا إلى وطنه دخل في مواجهات عديدة مع المنقلبين على شرعية وراثة العرش، فاحتموا بسيفاكس وأدرك انه

غير قادر على خوض المعركة ضدهم، وحاول الاتصال بأبناء عمومته وعقد الصلح معهم خشية أن يتخذهم سيفاكس ذريعة ويسيطر على الأراضي التي تحت حكمه (كصيل، 2007، صفحة 73). بالرغم من أن قرطاجة عملت ما بوسعها لكي لا يتم التصالح بينه وبين أبناء عمومته، إلا أنها لم تنجح في ذلك، فاتصلت بسيفاكس ونبهته إلى خطورة الامر وان ماسينيسا لن يكتفي بمملكة والده غايا (Tite-Live, 1941, 3-30).

هكذا خلقت قرطاجة وروما العداوة الطبيعية بين المملكتين النوميديتين وعملت على تشتيتهما أكثر خدمة لمصالحهما، فقامت حرب بين سيفاكس وماسينيسا وانتصر هذا الأخير بفضل خبرته العسكرية والدعم الذي تلقاه من شعبه لقضيته العادلة، فاسترجع حقه واعتلى العرش الماسيلي.

وضعت معركة سيرتا عام 203 ق.م حدا لنشاط الملك سيفاكس الذي وقع في قبضة ماسينسا، وتلتها معركة زاما (Zama) عام 202 ق.م التي أسفرت على هزيمة القرطاجيين بقيادة حنبعل، وانتهت الحرب البونية الثانية باستسلام قرطاجة لشروط الرومان المنتصرين (شنيتي، 1982، صفحة 29)، أما ماسينيسا فلقد استعاد عرشه ومملكته بل أكثر من ذلك وحد مملكة نوميديا (Gsell, 1928, pp. 224-225) وعرفت مملكته في عهده استقرارا داخليا، فتفرغ لخدمة أرضه وشعبه بعدما استعاد الأراضي الخصبة التي اغتصبتها قرطاجة. ووحد الجهود بين أبناء وطنه خدمةً للأرض التي هي بمثابة سلاح لمواجهة التحديات. (انظر الخريطة)

كانت الزراعة محور سياسته وجعل منها ثروة نوميديا الأولى، ووفرت للبلاد موارد مالية من التجارة الخارجية، وبذلك ارتبط الاقتصاد النوميدي بالأرض والاستقرار فيها، فمثل ذلك وعيا مغاربيا مبكرا بالاقتصاد الزراعي باعتبار أن الأرض وحدها هي مصدر الثروة، فقد استطاع ماسينيسا أن يؤسس أسطولا بحريا تجاريا إذ فتح أبواب مملكته للتجار الإغريق والمصريين والايطاليين، وازداد الاحتكاك أكثر مع الإغريق

خاصة مع جزيرة رودس، وشملت العلاقات التجارية حتى مع مدن إغريقية أخرى مثل أثينا، وتجسدت هذه العلاقات الودية في تجسيد أحد تجار ديلوس تمثالا لماسينيسا، وكان بدوره يرسل إلى أهل ديلوس كميات من القمح كنوع من الهبة لمعبد "أبولو"(فرحاتي، 2007، الصفحات 274-275).

لم يكتف ماسينيسا بإقامة علاقات تجارية مع الإغريق بل استقبلهم في مملكته، إذ وجدت جالية إغريقية في سرتا منذ حكمه، وكانت عاصمته محطة رجال العلماء وكبار التجار، حتى إنه استقبل واحدا من كبار معاصريه، المؤرخ الإغريقي "بوليبيوس" الذي يعتبر من أهم مؤرخي عصره، ومن المظاهر الأكثر أهمية في أعمال ماسينيسا فتح الباب على مصراعيه للإغريق نسجًا لعلاقات مباشرة مع الشرق والغرب، وهي الأولى من نوعها في تاريخ نوميديا دون وساطة قرطاجة (كامس، (ب، ت)، الصفحات 244-245).

تستنتج أن كلا من سيفاكس وماسينيسا قد انتهج نفس الإستراتيجية هدفها التخلص من الأجنبي وتوحيد الأراضي النوميدية، فما حققه سيفاكس في عام 205 ق.م واصله ماسينيسا ونهج نفس النهج، ووحد مملكته بعيدا عن أي تدخل أجنبي في شؤونها، ورفع شعار "إفريقيا للأفارقة" وبدبلوماسيته جنب مملكته خسائر الحرب البونية الثالثة.

4. خاتمة:

سعت روما لأن تحط أرجلها في شمال إفريقيا وانتهجت عدة طرق قصد الوصول لهدفها فمارست العمل الدبلوماسي الذي كان له دور كبير في إخضاع قرطاجة.

استغلت القوتان المتصارعتان (روما وقرطاجة) الخلافات السياسية بين النوميديتين خدمة لأهدافهم التوسعية في المنطقة.

اتخذت الممالك النوميدية مواقف متباينة ومتقلبة أحيانا تبعا لتطورات الحرب ومراعاة لمصالحها وصون سيادتها.

تفطن سيفاكس للمعركة الدبلوماسية التي تجري بين القوتين وفهم السياسة التوسعية الرومانية، فتأخذ موقفا محايدا ورتب لمؤتمر سيغا الدولي في 206 ق.م، إذ أدرك أن نقل الحرب إلى شمال إفريقيا سيقضي على مستقبل المنطقة لاسيما مملكته.

رغم محاولة الرومان الحفاظ بالملك سيفاكس إلى جانبهم إلا أن هذا الأخير أدرك ويلات الحرب إن انتقلت إلى شمال إفريقيا، فأتخذ القرار الحاسم واختار الجانب القرطاجي.

استعملت قرطاجة الدبلوماسية من اجل كسب الحليف الأقوى لذا تلاعبت بالتحالفات بين ملوك نوميديا، تارة مع سيفاكس وتارة أخرى مع ماسينيسا، شأنها في ذلك شأن روما.

خلقت قرطاجة وروما العداوة الطبيعية بين المملكتين النوميديتين وعملت على تشتيتهما أكثر خدمة لمصالحهما، فقامت حرب بين سيفاكس وماسينيسا وانتصر فيها هذا الأخير.

انتهت محاولة سيفاكس بالفشل لعدم تمكنه من الاتفاق مع الملك ماسينيسا (ملك نوميديا الشرقية) الذي أنظم للجانب الروماني فأرجح الكفة لصالح الرومان، وانتهي الصراع لصالح هذه الأخيرة، ووضعت معركة سيرتا حدا لنشاط الملك سيفاكس الذي وقع في قبضة ماسينيسا.

حتمت الكثير من الأسباب على ماسينيسا التحالف مع روما التي بدورها استغلت الفرصة لنقل الحرب إلى إفريقيا.

وطد ماسينيسا علاقاته الدبلوماسية مع العالم الخارجي وهي الأولى من نوعها في تاريخ نوميديا دون وساطة قرطاجة.

كلا من سيفاكس وماسينيسا انتهج نفس الإستراتيجية هدفها التخلص من الأجنبي وتوحيد الأراضي النوميدية، فلو تمكنا من الاتفاق بينهما لحققا انتصارا أكبر، ووحدا كل شمال افريقيا وطردا الأجنبي، هذه الفكرة التي نادى بها ماسينيسا فيما بعد.

5. قائمة المراجع:

اولا المراجع باللغة العربية:

أبو عبادة سعيد. (2011). *الديبلوماسية تاريخها مؤسساتها انواعها قوانينها*. فلسطين: دار الشيماء.

الشهراني محمدسعد عبدالله. (2015). تطور الديبلوماسية في بلاد اليونان والشرق الأدنى هلال القرن الرابع و الثالث قبل الميلاد. *مجلة بحوث الشرق الأوسط*.

العربي عقون. (جوان, 2010). ماسينيسا (238 – 148) من كفاحه لاستعادة العرش الماسيلي الى بناء الوحدة النوميدية. *مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية*(22).

جبرائيل كامس. ((ب، ت)). *من ضفف البحر الأبيض المتوسط إلى أطراف الصحراء*. تونس: منشورات البحر الأبيض المتوسط.

صتيفان كصيل. (2007). *تاريخ شمال إفريقياالقديم* (المجلد ج 3). (محمد الهادي مسعود، المترجمون) الرباط: مكبوعات الأكادمية المغربية.

فتيحة فرحاتي. (2007). *نوميديا من حكم جايا إلى بداية الإحتلال الروماني (213 ق.م - 46 ق.م)*. متيجة: منشورات أبيك .

قابريال كامس. (2010). *في أصول بلاد البربر ماسينيسا أو بدايات التاريخ*. (محمد العربي عقوم، المترجمون) المجلس الأعلى للغة العربية.

محمد الهادي حارش. (1984). *التطور السياسي و الإقتصادي في نوميديا منذ اعتلاء مسينيسا العرش إلى وفاة يوبا الأول (203 ق.م- 46ق.م)*. الجزائر: دار هومة للطباعةو النشر.

محمد الهادي حارش. (2013). *دراسات ونصوص في تاريخ الجزائر في العصور القديمة*. دار هومة.

محمدالبشير شنيتي. (1982). *سياسة الرومنة في بلاد المغرب من سقوط الدولة القرطاجيةإلى سقوط موريطانية (146 ق.م - 40ق.م)*. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر.

محمد البشير شنيتي. (2017). *دراسات في التاريخ و الأثار القديمة بالجزائر و بلاد المغرب*. الجزائر: كنوز الحكمة.

محمدصغير غانم. (1998). المملكة النوميدية والحضارة البونية. (2).

ثانيا المراجع باللغة الاجنبية:

Bohec, Y. l. (1996). *Histoire militaire des guerres punique (264-145 avant J-C)*. éditions du Richer.

Camps, (G). (1961). *Aux origines de la Berberie.Massinissa ou le début de l'histoire*. Imprimerie officielle Alger.

Grimal, P. (1975). *Le siécle de Scipions Rome et l'hillenisme au temps des guerres puniques*. Pais: aubier.

Gsell, (S). (1928). *Histoire ancienne de l'afrique du nord* (Vol. T3). Paris: Hachette.

Innocent, (Kati- Coulibaly).(2001). *Les prémices de la négociation entre Rome et le royaume numide pendant la seconde guerre punique.* Traveaux de l'école doctorale Sorbonne.

Mohamed (F), (1981). *L'Afrique du nord dans l'antiquité, des origines au V ie siecle.* Paris: Payot.

Polybius. (1970), *Histoire Romaine*. Paris: Gallimard,bibliotheque de la plaide.

Sanz, A.-M. (2013). *la république romaineet ses alliances militaires pratiques et représentations de la societasde l'époque foeduscassianum à la fin de la guerre punique* (Vol. T1). Paris: école doctorale d'histoire université de paris (Sorbonne).

Strabon,(1867). *Géographie* (Trad, A.Tardieu, Vol. T1). paris: Hachette.

Tite -Live. (1941). *Histoire Romaine*. Paris: Classique.

الملاحق:

صورة رقم (1): الملك *النوميدي سيفاكس*

المرجع: شنيتي *(محمد البشير)، 2017، صفحة 161*

صورة رقم (2): *القائد الروماني سكيبيو*

المرجع: *شنيتي (محمد البشير)،2017، صفحة 163.*

صورة رقم (3): *الملك النوميدي ماسينيسا*

المرجع: *عقون (محمد العربي)، 2010، صفحة 34*

قطع نقدية نوميدية تنسب لماسينيسا

المرجع: قابريال *كامس، 2010، ص 248.*

المرجع: *قابريال كامس، 2010، ص249.*

خريطة رقم (1): خريطة *سياسية لبلاد المغرب في الفترة ما بين الحربين البونيقيتين الثانية والثالثة (206-152 ق.م) (بتصرف)*

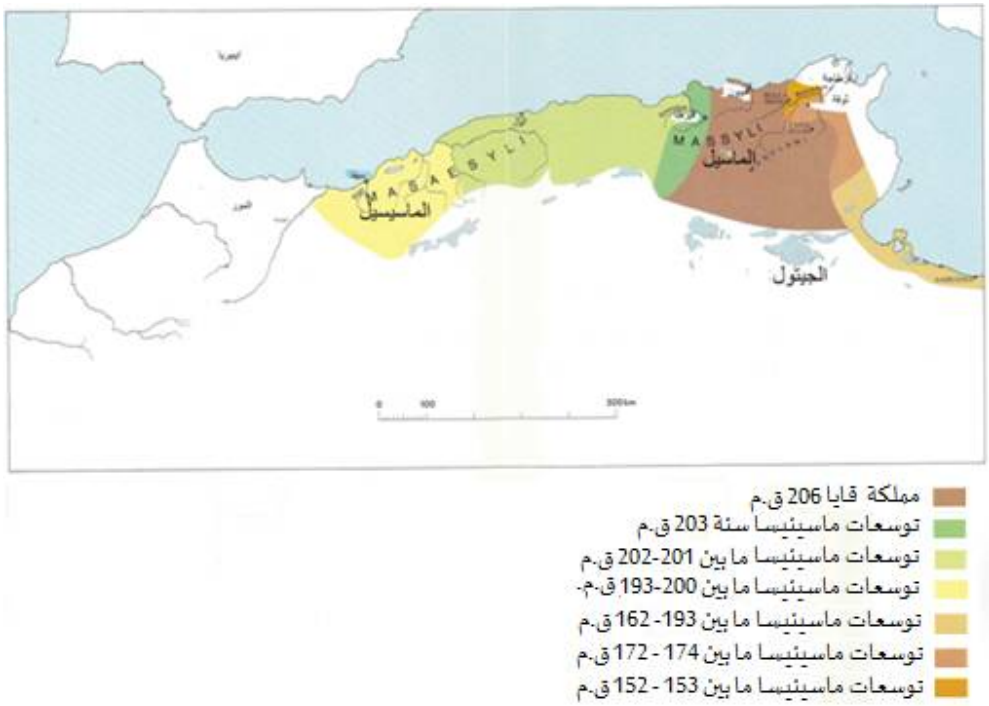

المرجع: (*كامس.، 2010، صفحة 234*)